المحاضرة الثانية: شبكة الملاحظة ودفتر المشاهدات

لقد حظيت أداة الملاحظة بالاهتمام الكبير من قبل الباحثين والمختصين بالبحث العلمي وسنتطرق في هذا الجزء الميسر إلى بعض ما خطت به أناملهم , وأملته بنيات أفكارهم , وتناولته دراساتهم في المفهوم والأنواع وأهم المميزات والعيوب , بغية الفائدة فلا غنى للباحث من الوعي المتكامل بالملاحظة بجميع جوانبها .

أولا / مفهوم الملاحظة :

في اللغة " المُلاحَظَةُ مُفاعلة من اللَّحْظ وهو النظر بشِقِّ العين الذي يلي الصدغ "[1] هذا في جانب اللغة , وقد أشارت بعض معاجم اللغة إلى معاني منها ما يفيدنا في هذا المقام كالمراعاة .

وأما في الاصطلاح فقد تعددت تعريفاتها في كتب مناهج البحث منهم من تناولها بالمفهوم العام , ومنهم من تناولها بالمفهوم الخاص أي الملاحظة العلمية .

يقول غرايبه : " الملاحظة العلمية هي الاعتبار المنتبه للظواهر والحوادث بقصد تفسيرها واكتشاف أسبابها و الوصول إلى القوانين التي تحكمها "[2]

ويتضح لنا من التعريف إشارته لعدة جوانب منها العلمية ويخرج منها غير العلمية , والقصد ويخرج منها الملاحظة غير المقصودة , والدوافع من هذه الملاحظة , و هذا التعريف لم يشمل جميع أنواع الملاحظة مع تميزه في الإشادة بالدوافع من الملاحظة أو الثمرة منها .

ويقول صيني : الملاحظة " مصدر أو وسيلة للحصول على المعرفة تلقائيا ما دام الإنسان مستيقظا "[3] . ويمتاز هذا التعريف بالشمولية ولكن إشكالية التعريف تكمن في الخلط بين المصدر والوسيلة ومن المعروف أن مفهوم المصدر لا يجتمع مع الوسيلة , ومما يشار إليه في هذا التعريف إطلاقه لجميع معالم المعلومات بقوله المعرفة مع اشتراط اليقظة وهذا حسن , ولكن لم يشتمل التعريف على أنواع من الملاحظات والتي تكون بواسطة الآخرين .

وممن عرف الملاحظة بدري بقوله : " انتباه مقصود ومنظم ومضبوط للظاهرة أو الحوادث أو الأمور , بغية اكتشاف أسبابها وقوانينها "[4] . قوله انتباه يدخل فيه النظر والعقل أي نظر بالبصر وتمعن بالعقل والبصيرة

, ويمتاز هذا التعريف عن غيره بالإشارة إلى الضوابط والقصد والتنظيم في الملاحظة ولعله يدخل في الجوانب التطبيقية وهي التي عليها مدار تقييم الملاحظة ودرجة صدقها والثقة بالمعلومات .

وأما عبيدات فيقول : " هي وسيلة يستخدمها الإنسان العادي في اكتسابه لخبراته ومعلوماته , حيث نجمع خبراتنا من خلال ما نشاهده أو نسمعه عنه ,ولكن الباحث حيث يلاحظ فإنه يتبع منهجا معينا يجعل من ملاحظته أساسا لمعرفة واعية أو فهم دقيق لظاهرة معينة " [5] . ويجدر التأكيد على الملاحظة من خلال التعريف على أنها وسيلة , وقد فرق في تعريفه بين ملاحظة الباحث العلمي عن غيره , وفرق بين الخبرة والمعلومة مع كون الوسيلة مجدية في تحصيلهما , وهو تعريف جميل ولكن الطول والاستطراد في وسائل اكتساب المعرفة أو الخبرة من غير الملاحظة وهي وسيلة السمع , والذي أتصوره أن السمع لا يدخل في الملاحظة والله أعلم ولكنه معين عليها .

ولعلي أختم هذه التعريفات بقول الدكتور العساف حيث ربطها بقرينة البحث العلمي كونها أحد أدوات البحث التي تجمع بواسطتها المعلومات والتي تمكن الباحث من الإجابة عن أسئلة البحث واختبار الفروض ثم قال : " فهي تعني الانتباه المقصود والموجه نحو سلوك فردي أو جماعي معين بقصد متابعته ورصد تغيراته ليتمكن الباحث بذلك من وصف سلوك فقط أو وصفه وتحليله أو وصفه وتقويمه " [6] .

وهذا التعريف حقيقة من أجمل التعاريف كونه قدم لها ببيان الأهمية في البحث ومرحلة الفرض والإجابة عن الأسئلة , مع خصوصية التعريف بالقصد والإجراءات كالرصد , والنتيجة منه كالوصف والتحليل والتقويم , وكم تمنيت لو عمم الدكتور هذا التعريف فلم يخصه على العلوم السلوكية فقط لأن الملاحظة أداة تدخل في البحوث العلمية الأخرى .

ويمكن تعريف الملاحظة كتعريف إجرائي : هي وسيلة أو أداة من وسائل وأدوات البحث العلمي والتي يستخدمها الباحث أوغيره بصورة مقصودة أو غير مقصودة لجمع البيانات والمعلومات من مصادرها تجاه أمر معين لدراسته وفق ضوابط وطرائق حسب ما تقتضيه الظروف وتفرضه الإمكانيات .

وعلى قول مرسي فإن معظم الناس ينظرون إلى الملاحظة على أنها خبرة تتضمن استخدام الحواس كالنظر أو السمع أو اللمس أو الشم أو التذوق [7] .

ثانيا / أنواع الملاحظة :

لقد تباينت كتب مناهج البحث في عرضها لأنواع الملاحظة وقد تجد النوع الواحد له أكثر من مسمى في غير كتاب أو يتكرر بمسماه في غير مرجع , وقد تجد تقسيمات لأنواع لا تستحق أن تكون أنواعا كالملاحظة المعملية والبيئية فهذه أقسام لا تستحق أن تكون كذلك كونها تعبر عن أماكن وليست أساليب , لأن المقصود من الأنواع هو عرض الأساليب والطرائق التي يمكن أن تطبق بها هذه الأداة ولذلك سأستبعد التقسيمات التي اعتمدت في تصنيفها على أماكن التطبيق كالمختبر والبيئة والمدرسة والمجتمع والبيت وغيرها .

1) أنواع الملاحظة بالنسبة لدرجة الضبط :

أ – ملاحظة بسيطة (Simple Observation) : وهي الملاحظة غير المضبوطة وتتضمن صورا مبسطة من المشاهدة والاستماع إلى الظواهر والأحداث كما تحدث تلقائيا في ظروف الطبيعة دون إخضاعها للضبط العلمي .

وهي مفيدة لجمع البيانات الأولية للظواهر تمهيدا لدراستها في المستقبل .

ب- ملاحظة منظمة (Systemation Observation) : وتختلف عن البسيطة من حيث كونها تخضع لدرجة عالية من الضبط , وإتباعها مخططا مسبقا , ويحدد فيها الظروف , ويستعان فيها بالوسائل , وهدفها جمع البيانات الدقيقة عن الظاهرة ووضع الفروض [8] .

وقد أشير إلى هذين النوعين في كتب أخرى بالملاحظة المحددة (Structued) و الملاحظة غير المحددة [9] مع اختلاف بسيط في العرض وهو تقسيم على حسب الهدف منه , وبعض الكتب تشير إلى كونها ملاحظة طبيعية وملاحظة مضبوطة [10] حسب الظروف المحيطة بالظاهرة , وهذه الاختلافات في المصطلحات لا تؤثر على المضمون ومستساغة لأنها من خلاف التنوع اللفظي , فالملاحظة الطبيعية في حقيقتها بسيطة وغير محددة , والملاحظة المضبوطة علميا محددة ومنظمة .

2) أنواع الملاحظة وفقا لدور الباحث :

أشار إلى هذا التقسيم معظم كتب مناهج البحث العلمي حيث قسمت إلى قسمين :

أ- ملاحظة غير مشاركة (Non – Participant) : حيث يلعب فيها الباحث دور المتفرج أو المشاهد بالنسبة للظاهرة أو الحدث , ولا يتضمن سوى النظر والاستماع إلى موقف اجتماعي معين دون المشاركة الفعلية فيه [11].

ويعرفها العساف بقوله:"وهي التي تتم من قبل الملاحظ دون أي علم من قبل الملاحظين "[12] ثم أشار إلى وسائل لتحقيقها مقتبسة من كتاب محمد زيدان , كأن يقوم الباحث بالاختباء خلف شاشة بصرية , وبعض الكتب تشير إلى المرآة ذات الاتجاه الواحد أو كمرات المراقبة المخفية , وبعضهم يشير إلى وقوف الباحث خلف ستارة مخفية لا يعلم بوجوده خلفها أي شخص ممن يريد دراسة حالتهم .

ومن وجهة نظر الباحث أن هذا الأسلوب لا بد أن يرتبط بالضوابط الشرعية , فإن الإسلام قد نهانا عن التحسس والتجسس إلا من ضرورة يسمح بها أصحاب الاختصاص الشرعي لقواعد عندهم يرجحون فيها بين المصالح والمفاسد , والعام والخاص , والضرورة والأحكام .

ب) الملاحظة المشاركة (Participant) : " وهي التي يقوم فيها الباحث بدور العضو المشارك في حياة الجماعة " [13] , فالباحث هنا يلعب دورين دور العضو المشارك والباحث الذي يجمع البيانات عن سلوك الجماعة وتصرفات أفرادها , ومما يجدر الإشارة إليه ما قام به بعض الباحثين من دخوله مستشفى الأمراض النفسية مدعيا المرض دون علم المرضى والأطباء من أجل تسجيل البيانات , ومن تطبيقاتها أن يدخل الباحث ضمن الجماعات والعصابات والقبائل , دون أن تعلم هويته .

ويقسمها العساف إلى نوعين جزئية وكلية وذلك من خلال وضوح شخصية الباحث وأهدافه لدى الملاحظين ولكل نوع منها عيوب ومميزات سيأتي الحديث عنها في القسم الخاص[14].

و بشكل عام يمكن القول بأنها تمتاز بصدق البيانات وغزارتها وتفتح للباحث أن يلاحظ الجوانب الخفية من السلوك , ولكنها صعبة التطبيق إذ تحتاج إلى مهارة فائقة , بالإضافة إلى ما يصاحبها من أخطار على حياة الباحث وكرامته كاتهامه بالجاسوس .

3) أنواع الملاحظة من حيث اتصال الباحث :

تنقسم إلى قسمين .

أ- ملاحظة مباشرة (Direct) : حيث يقوم الباحث بملاحظة سلوك معين من خلال اتصاله مباشرة بالأشخاص أو الأشياء التي يدرسها [16] .

ويتضح في هذا النوع قوة اتصال الباحث بالسلوك الذي يود دراسته .

ب- ملاحظة غير مباشرة (In-direct) : حيث يتصل الباحث بالسجلات والتقارير والمذكرات التي أعدها الآخرون [17] .

ومن الملاحظ أن هذا النوع تتأثر مصداقية نتائجه ومخرجاته بمصداقية هذه التقارير والمذكرات والسجلات فهي تحتاج إلى نوع من التثبت بدرجة عالية , ليخرج بمعلومات تمتاز بالصدق والثبات .

4) أنواع الملاحظة من حيث القصد :

أ- ملاحظة مقصودة (Purposive) : حيث يقوم الباحث بالإتصال الهادف بموقف معين أو أشخاص معينين لتسجيل مواقف معينة .

ب- ملاحظة غير مقصودة (Accidental) : حيث يلاحظ عن طريق الصدفة وجود سلوك ما[18] .

وهذا النوع من التقسيم تناول الملاحظة من حيث قصد الباحث في ملاحظة السلوك وهو تقسيم قريب جدا من التقسيم الأول الذي تناول الملاحظة من حيث درجة الضبط(البسيط و المضبوط) مع الاختلاف في طريقة العرض .

وبعد هذا العرض لأنواع الملاحظة من مراجعها المتخصصة يتضح لنا أن الباحث يستطيع تطبيق نوعين أو أكثر من أنواع الملاحظة التي تم ذكرها في السابق في بحث واحد , وذلك أن للملاحظة درجة في الضبط و اتصالا بالحدث وقصدا من ورائها وطريقة في المشاركة تجمع الأنواع في ملاحظة واحدة , يستخدمها الباحث في جمع البيانات والله أعلم .

<u>ثالثا / أهم المميزات والعيوب :</u>

إن الباحث المستخدم لطريقة الملاحظة بشكل علمي موضوعي للتمييز بين الأحداث والربط بينها , مع الدقة في تدوين الملاحظات ستظهر له مميزات وعيوب نشير إلى أهمها .

1) مميزات الملاحظة / وهي سمات وخصائص الملاحظة والتي من شأنها حث الباحث لاستخدام هذه الطريقة والأداة في جمع البيانات حول الحالة أو الظاهرة التي يريد دراستها , ومن أهمها ما يلي :

أ- " درجة الثقة في المعلومات التي يحصل عليها الباحث بواسطة الملاحظة أكبر منها في بقية أداوت البحث " [19] , ويمكن ربط درجة الثقة بعوامل من أهمها أن " يستخدم الباحث أداوت ملاحظة تتمتع بدرجة عالية من الصدق , ويستعين بالتقنيات التربوية لتسجيل الظاهرة التي يعنى بدراستها "[20] , بالإضافة لكون هذه

المعلومات التي جمعت تستنتج من سلوك طبيعي غير متكلف , هذه العوامل الثلاثة أكسبت أداة الملاحظة ميزة ارتفاع درجة الثقة .

ب- أفضل طريقة لدراسة عدة أنواع من الظواهر في وقت واحد , فهي تمكن الباحث من جمع بيانات تحت ظروف سلوكية مألوفة , وجمع حقائق عن السلوك في وقت حصولها [21] .

ج- تضمن للباحث الحصول على المعلومات التي تمكنه من الإجابة عن أسئلة البحث , لأنها تعتمد عليه (الملاحظ) , باختلاف بقية الأدوات الأخرى التي تعتمد مدى استجابة العينة للباحث سواء في الإستبانة أو المقابلة [22] . د- تسمح بجمع بيانات ومعلومات قد لا يفكر بها الأفراد حين إجراء المقابلة أو المراسلة [23] وبأنماط مختلفة , وتسجيل كل ما يمكن أن يصف الواقع , مما يعطي الباحث فرصة الحصول على كمية كبيرة من المعلومات مقارنة مع بقية الأدوات الأخرى [24]. هـ- تتطلب عدد أقل من المفحوصين مقارنة بالأدوات الأخرى [25] .

2) عيوب الملاحظة / وهي السمات التي من شأنها التأثير على البحث أو الباحث , مما يحث بعض الباحثين للعزوف عن هذه الأداة هروبا مما قد يواجهونه باستخدامها والتي تكمن في نقاط من أهمها :

أ- قد يتعمد الأفراد إعطاء انطباع جيد أو غير جيد , عندما يدركون أن هناك من يقوم بمراقبة سلوكهم[26] , ويمكن معالجة هذا العيب والتقليل من أثره بعدة طرق منها " استخدام غرف خاصة للملاحظين [27] " أو " بمحاولة تكرار الملاحظة " [28]. ولكن من وجهة نظرة الباحث فإن استخدام غرف خاصة يخضع للضوابط الشرعية , ولا بد فيه من استئذان العينة بعد الملاحظة , لأنه حق من حقوقهم .

ب- من الصعب توقع حدوث حادثة عفوية ليكون الباحث حاضرا وقت وقوعها , وعادة ففترة الانتظار مرهقة وتستغرق وقتا طويلا [29] , وتتضح هذه الإشكالية عندما تكون أعداد عينة الدراسة أعدادا كبيرة , أو بعض الأحداث تحصل في عدة أماكن وقد تستغرق عدة سنوات فتكون محدود زمنيا وجغرافيا , فإنه يصعب تطبيقها إن لم تكن مستحيلة .

ج- أنها تتأثر بالعوامل الخارجية غير المنظورة والتي قد تكون طارئة (كتقلبات الطقس) , مما يعيق عملية القيام بالملاحظة أو يجعل الأشخاص الملاحظين ينهجون نهجا غير سلوكهم الطبيعي ولكنه غير مقصود أو مصطنع كما في العيب الأول , والذي له أثره السلبي على قيمة المعلومات علميا .

د- هناك جوانب لا يمكن ملاحظتها سواء كانت أحداث (كالحياة الخاصة للأفراد) أو سلوكية (كالدوافع والعقائد والانطباعات النفسية) والتي يمكن الحصول على معلوماتها بالإستبانة أو المقابلة .

هـ- تأثر الملاحظة بدرجة كبيرة بالملاحظ نفسه , سواء في الجانب العلمي لديه (كالمعلومات والمسلمات السابقة لديه) أو في الجانب الشخصي (كالقدرات العقلية أو ضعف الحواس) أو في الجانب المهاري (كإتقانه لمهارات الملاحظة وأدوات التسجيل) أو الجانب النفسي (كالانفعالات السلوكية وضبط النفس والصبر) , مما يجبر الملاحظ على مراعاة هذه الجوانب كلها ومحاولة تقليل آثارها السلبية عن طريق الدقة في التسجيل , والتدريب على الأدوات وأجهزة القياس .

دفتر الملاحظة(Observation Booklet)

يُشار إلى هذا النظام أحياناً بـ"بطاقة الملاحظة"، ولكن هذا التعبير قد يكون مضللاً. ورغم أن دفتر الملاحظة يُستخدم بشكل واسع في استثمار التعرف التجريبي، إلا أنه يركز على الرصد الدقيق لمجموعة محددة من الملاحظات، مع الاكتفاء بالتحديد المسبق للأهداف أو العادات الكافية فقط دون القيام بتحديد المؤشرات الفرعية.

في دفتر الملاحظة، يحاول الباحث توثيق وتسجيل كافة مظاهر السلوك ومخرجات الظاهرة التي يعتقد أنها ستفيده في تحقيق أهداف أو فرضيات بحثه. وقد يكون مطالباً أيضاً بنقل البيانات البيئية أو الاجتماعية التي ترافق ظهور السلوك الملاحظ. يمتاز دفتر الملاحظة بمرونة أكبر مقارنة بشبكة الملاحظة، حيث يتيح للملاحظ إمكانية واسعة للتجديد في تسجيل الملاحظات التي يتوقع أنها ستساهم في الإجابة على تساؤلات دراسته، وذلك باستخدام جمل إنشائية وتقارير قصيرة وواضحة الدلالة.

عند تنظيم دفتر الملاحظات، يتمكن الباحث من اتخاذ قرارات استنادًا إلى قدراته في الوصف اللغوي، مما يؤدي في العادة إلى تأجيل ملء الدفتر عندما يكون مركزًا على ملاحظة التفاصيل السلوكية أو نتائج الدراسة. هذا التأجيل يحدث بسبب اهتمام الباحث وتركيزه على متابعة المظاهر السلوكية أو نتائج الدراسة التي يجري رصدها، مما يثير مخاوفه من خسارة ما قد يكون قد رصد، كمثال، عند دراسة سلوك عمال في مصنع معين، فإن فترة الصباح قد تكون مناسبة لتفريغ الملاحظات، بالإضافة إلى الفترة المسائية.

يجدر بالذكر أن تنظيم دفتر الملاحظات يترك لتقديرات الباحث، حيث يمكن له تقييمه على أساس متابعة السلوك، أو فرضياته البحثية، أو الظروف البيئية أو الاجتماعية التي تؤثر على الظاهرة. كما يجب عليه أن

يحرص على ترك مساحات مفتوحة لرصد السلوكيات غير المتوقعة، ويمكنه أيضًا جمع مجموعة متنوعة من المعلومات لدفتر الملاحظات، مع التأكيد على دقة تحليل نتائج الدراسة.

لتوضيح، يمكن للباحث أن يرغب في استخدام دفتر الملاحظات لدراسة سلوك الأطفال المصابين بالتوحد، ويمكنه تنظيم ملاحظاته بناءً على ثلاث فترات مختلفة في فضاء مخصص لهذه الغاية، بناءً على نموذج محدد.

الجدول رقم 02: نموذج جزئي عن دفتر ملاحظة خاصة برصد مظاهر التوحد عند الأطفال في فضاء اللعب

رمز أو اسم التلميذ	.....
العمر	..... (بالأشهر)
الجنس	ذكر أنثى
تاريخ الملاحظة	.....
الأبعاد	(المشاهدات)
الاتصال بالناس	(مثال) كان يستجيب بسرعة لمحاولة رفقائه التواصل معه، ويتعمد النظر في وجوههم مطولا ....
التقليد	(مثال) حاول في كثير من المرات تقليد الحركات التي كان الأطفال الآخرون يقومون بها: كما أنه كان يقلّد تعابير وجه أحد رفقائه بشكل ساخر ....
المتابعة البصرية	(مثال) كان حريصا على تتبع كل حركات أصدقائه: وخصوصا عندما يرمون الكرة عاليا في السماء، غير أنه لم يكن ينظر الى والدته وهي تحاول مساعدته في استرجاع الكرة عندما تضيع منه .....
استخدام الجسد	(مثال) كان يحرك رأسه بشكل متكرر تعبيرا منه عن رفض أو قبول تصرفات رفقائه.
مشاهدات تكميلية	(مثال) كان يضع يديه على أذنيه في كل مرة يسمع صوت أمه وهي تناديه باسمه .....

شبكة الملاحظة:

الجدول رقم 01: نموذج جزئي عن شبكة ملاحظة خاصة برصد السلوك العدواني عن الأطفال المتمدرسين

رمز التلميذ		P00.....		
مكان الجلوس		الأمام	الوسط	الخلف
الجنس		ذكر	أنثى	
الأبعاد	المؤشرات (المشاهدات)			
العدوانية نحو الذات	أن يقوم بقضم أصابعه بقوة			
	درجة السلوك	2	1	0
	أن يقوم بالشد على أسنانه بقوة			
	درجة السلوك	2	1	0
	أن يضرب على فخذيه بشكل متكرر			
	درجة السلوك	2	1	0
	أن يلوي أصابع يده بشدّة			
	درجة السلوك	2	1	0
العدوانية نحو الأخرين	أن يكز زملاءه باستخدام ادوات الكتابة			
	درجة السلوك	2	1	0
	أن يتعمد عرقلة زملائه أثناء سيرهم في الصف			
	درجة السلوك	2	1	0
	أن يَتفُل في وجه زملائه بشكل مباشر			
	درجة السلوك	2	1	0
العدوانية نحو الأشياء	أن يحاول لَيّ مسند الكرسي بقوة			
	درجة السلوك	2	1	0
	أن يحفر على الطاولة باستخدام أدوات الكتابة			
	درجة السلوك	2	1	0
	أن يطيح بالكراسي بشكل متعمد			
	درجة السلوك	2	1	0

تعليمة: الاختيار يكون بوضع دائرة على المسعى أو القيمة المرصودة.

الفرق بين الشبكة والدفتر

الجدول التالي يوضح الفرق بين شبكة الملاحظة ودفتر المشاهدات:

الخصائص	شبكة الملاحظة	دفتر المشاهدات
الغرض	تسجيل الملاحظات والأفكار بشكل منظم ومنهجي	تسجيل التفاصيل والملاحظات اليومية بشكل دقيق ومفصل
الاستخدام	يستخدم في البحث العلمي ودراسات الحالة والملاحظات الطبيعية	يستخدم في الحياة اليومية والعمل الإداري والتعليمي

التنظيم	عادة ما يتم تنظيمها حسب مواضيع أو فئات محددة	يمكن أن يكون مرتبطًا بالتواريخ أو الأحداث الزمنية
التفاصيل	يركز على تسجيل الملاحظات الهامة والمعلومات الرئيسية	يتضمن التفاصيل الدقيقة والأحداث اليومية بشكل مفصل
المرونة	قد يكون أكثر قابلية للتعديل والتنقيح حسب التطورات الجديدة	عادة ما يكون أكثر صلابة وتركيزًا على التفاصيل الفورية
التطبيقات النموذجية	الأبحاث العلمية، التقارير الأكاديمية، دراسات الحالة	التقارير اليومية، سجلات الأحداث، ملاحظات الاجتماعات

أخطاء في الملاحظة وكيفية تجنبها

- إذا وصلت الملاحظة إلى درجة المشاركة، يجب على الباحث أن يترك مسافة نفسية واجتماعية بينه وبين من يلاحظ وذلك حتى لا يفقد دوره كباحث.
- إذا لم يكن هناك حرج، يمكن للباحث أن يطلب من بعض أفراد العينة شرح بعض السلوكيات التي قد يدركها بطريقة خاطئة، كما يمكنه أن يطلب منهم منحه بعض الوقت لتسجيل الملاحظات إذا لم يخشَ أن تتأثر شفافية الظاهرة بهذا التوقف المؤقت.
- يجب على الباحث أن يستخدم أثناء عملية الرصد التفكير الميتا-معرفي، وذلك من خلال تصور ذاته كمراقب مستقل يتحرك داخل الوسط الملاحظ، بحيث يفكر في سلوكه وسلوك الملاحظين ككيان منفصل عنهم.
- لا ينبغي على الباحث أن ينشغل بمتابعة تلك السلوكيات الهامشية التي لا علاقة لها بالمؤشرات أو العادات السلوكية الرئيسية التي يرغب في ملاحظتها؛ إذ من شأن هذا الأمر أن يبعده عن جوهر الملاحظة ويشتت ذاكرته قبل تسجيل المعلومات.

أخطاء الملاحظة

عدم التزام الباحث بمعايير الحذر السابقة إضافة إلى عدم استيفائه للمحددات التحضيرية لعملية الرصد من شأنه أن يوقعه فيما يمكن أن نسميه بأخطاء الملاحظة:

- **خطأ الحواس** :توجد الكثير من العوامل الفيزيائية والبيولوجية التي تحد من قدرة الحواس على رصد مخرجات الظواهر المختلفة، وهذا من شأنه أن يقلل من قيمة حقيقة المعلومات التي ستحصل عليها الباحث باستخدام الملاحظة. فبالحديث عن العوامل الفيزيائية يمكن مثلا لضوضاء المصانع أن تقلل من قدرة الباحث على الاستماع لأحاديث العمال؛ وكمثال عن العوامل البيولوجية يمكن لقلة نوم الباحث وإرهاقه أن يحدان من قدرته على رؤية حركات أو إيماءات أفراد الملاحظين.
- **خطأ التقدير** :إن استخدام سلالم لقياس درجة السلوك ضمن أنظمة التفريغ قد يتضمن جزءا من سوء التقدير، بحيث قد لا يتفق جميع الملاحظين على منح ذات الدرجة لمؤشر سلوكي ما وذلك بسبب تدخل عوامل مختلفة الذاتية والمنهجية التقييم عند هؤلاء الباحثين.
- **خطأ الذاكرة** :إن استخدام الباحث لدفتر الملاحظة على سبيل المثال قد يضطره إلى تأجيل تفريغ الملاحظات إلى حين انتهاء من الملاحظة، وبالتالي فهو يعتمد على إبقاء هذه الملاحظات التي رصدها على ذاكرته فقط. ولأن الذاكرة من حيث المبدأ معرضة للنسيان والتشويه، فإن استخدام الذاكرة لوحدها قد يؤدي بالباحث للوقوع في مجموعة من الأخطاء أثناء عملية التفريغ.
- **خطأ التفسير** :تتميز الظاهرة الاجتماعية بالتعقيد وتداخل العوامل المؤثرة فيها، وبالتالي فإن أي محاولة لتفسيرها استنادا لملاحظة مخرجات الظاهرة ستتضمن قدرا من الخطأ، بحيث تزداد إمكانية أن تتسرب ذات الباحث لتطغى على ما يشاهده ويفسره تبعا لميوله وأهوائه.
- **خطأ المسافة** :في بعض أنواع الملاحظة يضطر الباحث لأن يكون قريبا من المبحوثين، كما في حالة الملاحظة بالمشاركة، وهذا من شأنه أن يطوي المسافة النفسية التي تفصله عن أفراد محل الملاحظة، فيألفهم ويألفونه، فتغيب بذلك حاسة النقد عنده وتمنعه من رؤية بعض الوقائع الدالة.
- **خطأ الانقطاع** :إن الظواهر الاجتماعية ليست بالضرورة ظواهر متصلة؛ البداية فيها تمهد للنهاية، والنهاية تفسر البداية. وأي انقطاع في متابعة شفافية الظاهرة من بدايتها حتى نهايتها من شأنه أن يفقد

الملاحظ تمكنه، ويحرم الباحث من تكوين صورة بانورامية عن الظاهرة. ولأن الباحث بشر ولديه احتياجاته الخاصة التي تضطره للغياب عن ميدان الملاحظة، فإن هذا النوع من الأخطاء وارد.